دراسات
ISSN: 2090 – 0449 Online
ISI International Scientific Indexing, [8140].
AIF Arab Impact Factor for Arabic Scientific Journals, [1.3].

قافلة الحج العراقية ودرب زبيدة في وصف الليدي آن بلنت Lady Anne Blunt ١٢٩٦هـ/١٨٧٩م

د. سعيد بن دبيس العتيبي
دكتوراه في الآثار والحضارة الإسلامية
الرياض – المملكة العربية السعودية

مُلَخّص

تعتبر كتابات الرحالة الأوروبيون عن الجزيرة العربية من المصادر الأولية المهمة التي يمكن أن يستفاد منها في معرفة بعض المجالات التاريخية والسياسية والاجتماعية والثقافية. إذ تشتمل مدوناتهم على وصف مرتبط بمشاهدتهم الحية عن السكان والعمران والطبيعة والأحوال السياسية والاقتصادية والثقافية والاجتماعية وطرق القوافل والآثار في المناطق التي مروا بها أثناء رحلاتهم. الليدي آن بلنت Lady Anne Blunt رحالة إنجليزية قامت في أواخر القرن التاسع عشر الميلادي، هي وزوجها ويلفريد سكاون بلنت Wilfrid Scawen Blunt برحلة إلى شمال الجزيرة العربية شملت منطقة الجوف ومنطقة حائل، ومن مدينة حائل صحبت قافلة الحج العراقية العائدة من مكة المكرمة عبر طريق الحج العراقي المعروف بطريق الكوفة- مكة المكرمة أو (درب زبيدة) حتى مدينة النجف (مشهد علي) في العراق ومنها اتجهت إلى بغداد ثم ايران، لتكمل رحلتها إلى بلاد فارس. استغرقت رحلة الليدي آن بلنت في الجزيرة العربية أربعة وثمانين يومًا وتميزت بأنها اختلطت مع سكان المدن والبادية وقابلت شيوخ القبائل، فحصلت على معلومات ثرية وفريدة عن المناطق التي زارتها مشتملة على معلومات عن النظام السياسي والطبيعة والعادات والتراث ومسالك الطرق. وحين نشرت رحلتها خصصت فيها موضوعًا عن سفرها مع قافلة الحج العراقية بين مدينة حائل ومدينة النجف دونت فيه مشاهداتها أثناء يوميات مسير القافلة. وسوف تتناول هذه الدراسة التعريف بالرحالة الإنجليزية آن بلنت ورحلتها، تركيزًا على وصفها لقافلة الحج العراقية من ناحية تنظيم القافلة ومكوناتها وتجهيزاتها، ووصف مسار طريق الحج العراقي الذي عبرته القافلة وآثاره التي شاهدتها من برك للمياه وآبار وأعمال تسوية الطريق وتمهيده، ومظاهر مشاق السفر ومعاناة الحجاج التي واجهتها القافلة في مسيرها.

بيانات الدراسة:

تاريخ استلام البحث: ١٠ سبتمبر ٢٠٢١
تاريخ قبـول النشـر: ٠٢ أكتوبر ٢٠٢١

كلمات مفتاحية:

طرق الحج؛ طريق حج الكوفة مكة؛ درب زبيدة؛ الرحالة الغربيون؛ الليدي آن بلنت؛ حائل؛ الكوفة؛ النجف؛ قافلة الحج

معرِّف الوثيقة الرقمي:

DOI 10.21608/KAN.2021.259376

الاستشهاد المرجعي بالدراسة:

سعيد بن دبيس العتيبي. "قافلة الحج العراقية ودرب زبيدة في وصف الليدي آن بلنت (١٢٩٦هـ/١٨٧٩م)"- دورية كان التاريخية- السنة الرابعة عشرة- العدد الرابع والخمسون؛ ديسمبر ٢٠٢١. ص ١٣٦ – ١٤٦.

Twitter: http://twitter.com/kanhistorique
Facebook Page: https://www.facebook.com/historicalkan
Facebook Group: https://www.facebook.com/groups/kanhistorique

Corresponding author: saeed301@hotmail.com
Editor In Chief: mr.ashraf.salih@gmail.com
Egyptian Knowledge Bank: https://kan.journals.ekb.eg

Open Access This article is distributed under the terms of the Creative Commons Attribution 4.0 International License (https://creativecommons.org/licenses/by-nc-nd/4.0), which permits unrestricted use, distribution, and reproduction in any medium, provided you give appropriate credit to the original author(s) and the source, provide a link to the Creative Commons license, and indicate if changes were made.

نُشرت هذه الدراسة في دَّورِيةُ كَان التَّارِيْخية للأغراض العلمية والبحثية فقط، وغير مسموح بإعادة النسخ والنشر والتوزيع لأغراض تجارية أو ربحية.

مُقدِّمَةٌ

قبل البدء بالحديث عن الليدي آن بلنت ورحلتها مع قافلة الحج العراقية عبر طريق الحج العراقي من المهم تقديم لمحة تاريخية موجزة عن هذا الطريق: في عصر الخليفة الراشد عمر بن الخطاب رضي الله عنه (١٣-٢٣هـ/ ٦٣٤-٦٤٤م) كان الإسلام قد انتشر في جميع أنحاء الجزيرة العربية ووصلت الفتوحات الإسلامية إلى العراق وفارس وبلاد الشام ومصر وشمال أفريقيا، وحيث أن الحج هو الركن الخامس من أركان الإسلام لمن استطاع إليه سبيلا، تزايد تدفق أفواج الحجاج نحو مكة المكرمة من البلاد التي وصل إليها الإسلام، وعُرفت عدة طرق للحج تربط الأماكن المقدسة بأرجاء الدولة الإسلامية، منها طريق الحج العراقي بمسارية: طريق الكوفة مكة المكرمة، وطريق البصرة مكة المكرمة، وطريق الحج الشامي وطريق الحج المصري، وطريق الحج اليمني وغيرها من الطرق، وقد اهتم الخلفاء والولاة المسلمون على مر العصور بتسهيل هذه الطرق فأنشئت عليها المحطات ومرافق المياه والخانات والأعلام، كما سهلت مسارات الطرق بتمهيدها ورصفها في الأماكن الوعرة.

طريق الحج العراقي المعروف بطريق الكوفة مكة المكرمة أو درب زبيدة هو الطريق الذي اجتازت آن بلنت مع قافلة الحج العراقية جزئه الشمالي الواصل بين حائل[١] وبغداد ووصفت بعض معالمه ومرافقه، ويعتبر هذا الطريق من أهم طرق الحج خلال العصر الإسلامي، وقد أشتهر باسم درب زبيدة نسبة إلى زبيدة بنت جعفر (ت. ٢١٦هـ/ ٨٣٢م) زوج الخليفة العباسي هارون الرشيد (١٧٠-١٩٣هـ/٧٨٦-٨٠٩م)، لكثرة إصلاحاتها على الطريق حتى خلد ذكرها على مر العصور.

كان مبدأ هذا الطريق معروفًا منذ فترة ما قبل الإسلام، بوصفه أحد الطرق التجارية التي تصل وسط الجزيرة العربية والحجاز ببلاد الرافدين، وكانت تسلكه قوافل قريش التجارية بين الحيرة[٢] ومكة المكرمة، وبعد تأسيس مدينة الكوفة سنة (١٧هـ/٦٣٨م) في عصر الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه (١٣-٢٣هـ/٦٣٤-٦٤٤م) أصبحت بديلاً عن الحيرة، وارتبطت بطريق مباشر للحج إلى مكة المكرمة عرف بطريق الكوفة مكة المكرمة، وبدأت العناية بهذا الطريق منذ عصر الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه (٢٣-٣٥هـ/ ٦٤٤-٦٥٦م)، إذ يذكر انه حفر عين النخل بمنزل فيد[٣]، ومن العصر الأموي ذكر الحربي أن الخليفة عبد الملك بن مروان (٦٥-٨٠/٦٨٥-٧٠٥م) أحدث محطة الثعلبية[٤]، وفي خلافة الوليد بن عبد الملك (٨٦-٩٦هـ/٧٠٥-٧١٥م) أمر ولاة البلدان بتسهيل الثنايا وحفر الآبار[٥]، وفي خلافة يزيد بن عبد الملك (١٠١-١٠٥هـ/٧٢٠-٧٢٤م) أمر عامله على العراق عمر بن هبيرة أن يقوم بتمهيد الطريق وينشئ عليه الآبار.[٦]

وبعد قيام الدولة العباسية عام (١٣٢هـ/٧٤٩م)، وانتقال عاصمة الخلافة إلى العراق، وتوسع الفتوحات في شرق العالم الإسلامي، أصبح طريق الكوفة مكة المكرمة طريقًا رئيسيًا للحج، ربط شرق العالم الإسلامي والعراق بالمدينتين المقدستين (مكة المكرمة والمدينة المنورة)، وبلغ الطريق ذروة ازدهاره خلال العصر العباسي (١٣٢-٦٥٦هـ/٧٥٠-١٢٥٨م)، خاصةً العصر العباسي الأول (١٣٢-٢٣٢هـ/٧٥٠-٨٤٧م). إذ عين له الخلفاء ولاة يتعاهدونه بالعناية والإصلاح، واسهم الخلفاء وعدد من المحسنين في عمارة الطريق فأنشئت على مساره القصور والحصون والأسواق والبرك والآبار والأعلام وأعمال الرصف والتمهيد. وشهد الطريق أكثر إصلاحاته وأعظمها في عهد هارون الرشيد وأسهمت زوجته زبيدة بنت جعفر في إنشاء العديد من برك المياه والأحواض والآبار، والاستراحات وأعمال تسهيل الطريق على كامل مساره من الكوفة إلى مكة المكرمة، ويبلغ طول الطريق بين الكوفة ومكة المكرمة قرابة ١٤٠٠كم، ويمتد معظم مساره عبر أراضي المملكة العربية السعودية بطول يبلغ قرابة ١٢٠٠ كيلومتر، ويمر مسار الطريق بمناطق[٧] الحدود الشمالية وحائل والقصيم والمدينة المنورة ومكة المكرمة.

وذكرت المصادر الجغرافية والتاريخية أن عدد المحطات على الطريق بين الكوفة ومكة المكرمة (٥٤) محطة، بالإضافة إلى ما بينها من موارد مائية، وقد جاء ترتيب المحطات الرئيسية على المسار الرئيس للطريق بين الكوفة ومكة على النحو التالي: العذيب، المغيثة، القرعاء، واقصة، العقبة، القاع، زبالة، الشقوق، البطان، الثعلبية، الخزيمة، الأجفر، فيد، توز، سميراء، الحاجر، النقرة، مغيثة الماوان، الربذة، السليلة، العمق، معدن بني سليم، أفاعيه، المسلح، الغمرة، ذات عرق، البستان، مكة المكرمة.[٨]

وخلال النصف الثاني من القرن (الثالث عشر الهجري/ التاسع عشر الميلادي)، تغير جزء من مسار الطريق إذ أصبح يتجه من مدينة النجف إلى حائل ثم المدينة المنورة، وذلك على أثر اتفاقية بين إمارة آل رشيد في جبل شمر[٩] وولاة الدولة العثمانية في العراق، تضمن أمارة آل رشيد بموجبها تأمين الطريق، ونقل الحجاج العراقيين وحمايتهم. وقد استفادت منطقة أمارة آل رشيد اقتصاديا من جراء ذلك، وكان هذا الطريق مفضلاً لقوافل الحجاج على طريق البصرة، وظل في

خدمة قوافل الحجيج إلى منتصف القرن (الرابع عشر الهجري/ أول القرن العشرين الميلادي)، وحين ظهور السيارات، وتعبيد الطرق الحديثة، تغير مسار الطريق كليًا، ولم تعدّ أي أجزاء منه مستخدمة. وتعتبر معالم الطريق من أهم معالم الآثار والحضارة الإسلامية الباقية.

وقد تضمنت المصادر الجغرافية والتاريخية معلومات وفيرة عن طريق الكوفة مكة المكرمة وجهود الخلفاء والولاة والمحسنين في إصلاحاته، خاصةً في فترة ازدهاره في عهد قوة الدولة العباسية، فذكرت منازلة من الكوفة إلى مكة المكرمة وفروعه، والمسافات بين المنازل وما يتوفر عليه من مرافق وخدمات من برك وأبار وقصور وخانات ومساجد وأميال..، والأعمال التي تمت عليه لتسهيل مساره مثل أعمال الرصف والتمهيد والتسوية، كما ورد وصف الطريق في الفترات المتأخرة من عصر الدولة العباسية عند كل من الرحالة ابن جبير سنة (٥٨٠هـ/١١٨٤م)[١٠]، ثم ورد له وصف آخر بعد انتهاء عصر الدولة العباسية عند الرحالة ابن بطوطة سنة (٧٢٧هـ/١٣٢٧م)[١١]، وخلال الفترة من النصف الأول من القرن التاسع عشر الميلادي وبداية القرن العشرين قدم عدد من الرحالة الأوربيون معلومات محدودة عن الطريق خاصة عن جزئه الشمالي الواصل بين النجف وحائل مثل: جورج أوغست والن george August Wallin[١٢] وشارل هوبيرCharle Huber[١٣]، وألويس موزل Alois Musil[١٤]، إلاّ أن الليدي آن بلنت ذكرت أنها هي وزوجها ولفريد لهم قصب السبق بين الأوروبيين في عبور الطريق من حائل إلى مدينة النجف في العراق سنة (١٢٩٦هـ/١٨٧٩م)[١٥].

كما تأتي أهمية رحلة آن بلنت عبر طريق الكوفة مكة المكرمة من كونها تتضمن معلومات فريدة من خلال وصف مشاهده لمراسم تنظيم القافلة ومسيرها ومعالم الطريق الأثرية، وسيقوم منهج هذا البحث على استقراء وصف آن بلنت لقافلة الحج ووصف معالم الطريق، والتعريف بالمعالم التي ذكرتها، بهدف استجلاء المعلومات حول تنظيم قافلة الحج ومكوناتها، والأحداث التي تصاحب مسيرها، بالإضافة إلى تسليط الضوء على مسار الطريق ومعالمه في تلك الفترة.

أولاً: التعريف بالرحالة الليدي آن بلنت ورحلتها

الرحالة الإنجليزية الليدي آن بلنت من الرحالة الأوربيين البارزين وهي تنتمي إلى أسرة نبيلة وغنية، كانت هوايتها اقتناء الخيل العربية الأصيلة وتربيتها والبحث فيها ومن أجل اقتنائها رحلت إلى مواطنها في بلاد العرب، فهي من أوائل الرائدات من الرحالات النساء اللاتي زرن الشرق العربي وكتبن عنه، حيث قامت برحلتين إلى الشرق العربي بصحبة زوجها ولفريد سكاون بلنت، كانت رحلتهما الأولى في مطلع عام (١٢٩٥هـ/ ١٨٧٨م) إلى العراق وبادية الشام، أما رحلتهما الثانية فكانت إلى الجزيرة العربية وشملت منطقة الجوف[١٦] وحائل. وكانت حائل هي وجهتما الرئيسة لمشاهدة خيول محمد بن رشيد أمير حائل في تلك الفترة، والذي كان يمتلك أفضل إصطبلات الخيول في تلك الفترة، وبدأت رحلتها إلى الجزيرة العربية التي سمتها "رحلة حج إلى نجد" من دمشق حيث وصلت إليها من أوربا بصحبة زوجها ويلفريد سكاون بتاريخ ١٢/١٢/١٢٩٥هـ الموافق ٦ ديسمبر١٨٧٨م، وفي دمشق اتخذا الترتيبات اللازمة لرحلتهما، حيث كانا على موعد مع صديق لهما اسمه محمد العروق كان قد صحبهم في رحلتهم الأولى وهو ابن شيخ مدينة تدمر واتفقا معه ليكون مرافقًا لهم لتسهيل مهمتهم عبر مرورهم بمناطق القبائل في رحلتهم إلى نجد، واعدوا لهذه الرحلة قافلة مكونة بالإضافة إلى محمد العروق من طباخ وأربعة من الخدم والمساعدين، وتم تعبئة القافلة بما يحتاجون إليه من المؤن وأربع ذلائل من النوق واربع جمال لحمل الأمتعة بالإضافة إلى ثلاث من الخيول، ثم انطلقت قافلة الليدي آن بلنت وزوجها ويلفريد في رحلتهما إلى نجد من دمشق مرورًا بحوران واللجاة والحماد ووادي السرحان حتى وصلت إلى الجوف. ومنها توجهت عبر صحراء النفود الكبير إلى حائل لتحل ضيفة عند أميرها محمد الرشيد، وقدمت في كتابها وصفًا عن الحياة الاجتماعية والعمرانية والسياسية والطبيعية في الجوف وحائل والمناطق التي اجتازتها ووصفا لمرابط خيل ابن رشيد في حائل التي تذكر أنها حضرت من أجل مشاهدتها، ومن مدينة حائل صحبت هي ورفقاها قافلة الحج العائدة من مكة إلى العراق عبر طريق الكوفة مكة المكرمة (درب زبيدة) لتكمل رحلتها نحو إيران[١٧].

صدرت رحلة آن بلنت في كتاب باسم (رحلة حج إلى نجد) نشر للمرة الأولى في لندن عام (١٢٩٨هـ/١٨٨١م)، عن دار نشر جون مري John Murray[١٨]، ثم كانت أول محاولة لترجمة الكتاب إلى اللغة العربية عام (١٣٨٧هـ/١٩٦٧م) حيث صدر عن دار اليمامة بالرياض كتاب بعنوان (رحلة إلى بلاد نجد) تضمن فقرات محددة من الكتاب الأصلي وقام بترجمته محمد أنعم غالب وقدم له الشيخ حمد الجاسر. ثم توالى صدور ترجمات أخرى للكتاب حيث صدر عام (١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م) عن دار المدى للثقافة في دمشق بعنوان (رحلة إلى نجد مهد العشائر العربية) ترجمة وتعليق أحمد ايبش، أيضًا هناك ترجمة للكتاب صدرت بعنوان (الحج إلى نجد

مهد العرق العربي)، صدرت في جزئين عن المركز القومي للترجمة في القاهرة عام (١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م)، ترجمه صبري محمد حسن، وتقديم ومراجعة رءوف عباس حامد، كذلك قام أحمد ايبش بترجمة أخرى للكتاب صدرت عن هيئة أبو ظبي للسياحة والثقافة عام (١٤٣٤هـ/ ٢٠١٣م) بعنوان (حج إلى ربوع نجد مهد قبائل العرب ١٨٧٨- ١٨٧٩م).

ثانيًا: قافلة الحج العراقية وطريق الكوفة مكة المكرمة في وصف الليدي آن بلنت

تبدأ آن بلنت بوصف مشهد قافلة الحج بدءً من اليوم الذي دعاهم الأمير محمد الرشيد للقاء بهم عند بوابة مدينة حائل الغربية (بوابة مكة)، لرؤية عرض للخيل ومبارزة صورية بين الفرسان، حيث تقول انه كان يومًا سعيدًا أن ترى خيول الأمير وهي تجري، وهو الغرض الذي جاءت لأجله، ورؤية مخيم الحجاج ذات الخيام الملونة الزرقاء والحمراء والبيضاء خارج أسوار حائل، وشاهدت الحجاج وهم محتشدين لرؤية عرض الخيل والمبارزة الحية بين الفرسان، بعيون مندهشة بالمنظر، وبدأت علاقة الليدي آن بلنت وويلفريد بالحجاج حينما قام ويلفريد بزيارة لمخيم الحجاج الإيرانيين والتقى بإحدى الشخصيات المهمة من الحجاج واسمه علي قولي خان، كان يسافر في أبهة ويصطحب معه والدته للحج ومعه عدد كبير من الخدم من الرجال والنساء، ومرافقوه يرتدون سترات قصيرة من اللباد وقلانس صغيرة مما يظهره كرئيس مهم، وكانت خيمته على الطراز التركي ومفروشة بسجاجيد فارسية وأريكة للجلوس، ووجد ويلفريد علي قولي جالسًا في خيمته ومعه صديق له، ودعوا ويلفريد للسفر معهما إلى العراق حيث ستمر القافلة بالنجف. وقبل ويلفريد وزوجته الليدي آن بلنت هذه الدعوة وقررا السفر مع قافلة الحج بعد أن استشارا أمير حائل الذي وافق على ذلك. واستعدادًا للرحلة قام مرافقهم محمد العروق بشراء بعيرين ومؤنة من التمر والأرز، كما بعث لهم الأمير هدية عبارة عن بن من النوع اليمني الممتاز. وفي اليوم المحدد لبدء رحلتهم قاما بزيارة للأمير محمد الرشيد لتوديعه كما قاما بزيارة مماثلة لأخيه حمود الرشيد، الذي أسدى لهم نصيحة بأن يستمروا في طريقهم مع قافلة الحج إلى النجف بدلاً من التوجه إلى طريق البصرة وأخبرهم بأنه هطلت أمطار على الطريق وأن جميع برك المياه على الطريق ممتلئة بالماء، وبذلك ستكون رحلتهم ميسرة بينما قد يضطروا حال سفرهم على طريق البصرة إلى المرور على مناطق لا يتوفر فيها الماء، ثم التحقوا بالقافلة وكانت قد غادرت حائل[١٩].

١/٢-وصف القافلة ومكوناتها وتنظيمها

غادرت قافلة الحجاج مدينة حائل بتاريخ ٩ صفر١٢٩٦هـ الموافق ١ من فبراير عام ١٨٧٩م والتحقت الليدي آن بلنت وزوجها ويلفريد بالقافلة وانضما إليها وهي مخيمة على بعد عشرة أميال من حائل، وتصف الليدي آن بلنت منظر القافلة وكثرة عدد جمالها يوم مغادرتها حائل وهي تشاهدها من بعد تعبر السهل الفاصل بين حائل وجبل شمر بأنها تبدو كخط طويل من النمل، ويبلغ طول موكبها أكثر من خمسة أميال يمتد عليها رتل طويل من جمال الحجاج لا تستطيع رؤية آخره. ولم تكن هذه الأعداد الكبيرة من الحجاج التي غادرت حائل هي كل الحجاج إذ تقول إن نصف الحجاج على ما يبدو بقوا في حائل بسبب عدم توفر الجمال لنقلهم أو لوجود مطالبات مالية عليهم، وتذكر أن عدد القافلة ظل يزداد في أثناء مسيرها بسبب الملتحقين بها من المتبقين في حائل.

وبالإجمال فإن القافلة في اليوم الثامن عشر من مسيرها أصبحت تتكون من عدد كبير من الرجال يمشون بجانبها، يقترب عدد هم من ثلاثة آلاف ويرافقهم الف رجل مكلفين من ابن رشيد لحراستها، وخمسة آلاف جمل، وعن عناصر الحجاج تذكر أن القافلة مكونة من حجاج العرب وحجاج العجم من الإيرانيين والأفغان، كما أن قافلة الحج فرصة لبعض قبائل جبل شمر اللذين يرغبون في الذهاب إلى السماوة في العراق، لشراء الأرز والقمح، حيث ينضمون إلى القافلة، وأن سكان تلك المناطق يجدون فرصة لصحبة القافلة مرتين في العام عند قدوم الحجاج إلى الحج وعودتهم منه، وتذكر انهم وجدوا بعض الأفراد اللذين انضموا إلى القافلة مع جمالهم. وتشير إلى بعض تنظيمات القافلة فتذكر بأن لها أمير[٢٠] معين من ابن رشيد اسمه عنبر، وأن القافلة يتقدمها البيرق أو اللواء ذو لون أخضر وأحمر، يحمل في وسط مجموعة من الهجن الأصيلة التي تخب في سيرها بسرعة وهي مكسوة بأغطية مزركشة وأردية من الخز الأطلسي، وبيرق ابن رشيد قطعة مربعة من الحرير الأرجواني يتوسطه رسم وشعار باللون الأبيض مع حواف خضراء، حيث رسم سيف كتب تحته لا إله الله محمد رسول الله، وكتب على الوجه الآخر من البيرق "نصر من الله وفتح قريب"، ويحمل البيرق خادمًا يمتطي بعير عاليًا، وأمير الحج يرافق مجموعة حمل البيرق عادة، وله مهرة بيضاء يسوقها خادم يرتدف خلفه إذا أراد ركوبها.

وفي اليوم الثاني من مسير القافلة، وبعد أن اجتازت ميلين وجه أميرها بتوقفها لإحصائها، فجمعت الجمال وركابها وبدأ

إحصائها، بينما سمح للمشاة أن يفعلوا ما شأوا لأنهم غير ملزمين بنظام قافلة الحج وكذلك هي ومرافقيها لأنهم في ضيافة ابن رشيد، وعن أوقات مسير القافلة وتوقفها تذكر أن الاستعداد لتحرك القافلة يبدأ من الساعة الرابعة صباحًا حيث تشعل النيران كإعلام بالتحرك المبكر ويبدأ مسير القافلة باكرًا قبل شروق الشمس، وتقرع الطبول ساعة بدء الانطلاق، وتسير القافلة بمعدل ثلاثة أميال في الساعة وعندما تجد في المسير تقطع ثلاثين ميلاً في اليوم، وفي المساء تنصب خيام الحجاج وتطوى عند الصباح عند الإيذان بتحرك القافلة[٢١].

٢/٢-محامل الحجاج

بعد البيرق تسير مجموعات الحجاج يمتطي الاثنان منهم جمل واحد في بعض الأحيان، وتحمل بعض الجمال متاع الحجاج في مزودتين على جانبي الجمل، والموسورون من الحجاج يستخدمون المحامل (الهوادج) وخاصةً النساء. التي تظهر على هيئة مراكب فاخرة مكسية بأقمشة مزخرفة بالألوان الحمراء والزرقاء وستائر فارسية، ويحمل الجمل اثنين من الهوادج، وهناك نوع فخم من الهوادج يسمى التخترون، يستطيع الراكب أن يجلس فيه متربعًا كما يمكنه أن ينام، لكن هذا النوع مكلف اذا يحتاج إلى جملين أو بغلين أحدهما يتبع الآخر لحمل هذا المركب، لهذا لم يكن في القافلة إلا شخص أو اثنان يمتلكان التخترون، ويختار للمحامل جمال قوية ومتناسقة الخطى، ويقود الجمل الذي يحمل الهودج شخص مكلف بهذه المهمة ويسير إلى جانبه بعض الخدم أحيانًا، وتقول الليدي آن بلنت أنه يبدوا أن كل حاج يقوم منذ بدء رحلته للحج من النجف بالاتفاق مع متعهد من العرب يؤمن له وسيلة السفر والأمتعة، وتكون وسائل السفر أحيانًا إلى جانب الجمال خيول أو بغال، ويلتزم المتعهد بالحاج حتى عودته فإذا نفقت إحدى دواب السفر أو تخلفت عن السير يقوم بتأمين بديل لها، وتذكر أنها شاهدت ضمن القافلة عشرين شخصًا من المتعهدين يتقاسمون بينهم الفين حاج، ويتسم مظهر هؤلاء المتعهدين بالثراء حيث يركبون أجود الجمال ويلبسون أجمل الثياب[٢٢].

٣/٢-وصف آثار الطريق

عندما انطلقت قافة الحجاج من حائل أخذت في الاتجاه الشرقي، وكانت القافة في بداية رحلتها تسير ببطء وبالكاد تقطع في اليوم عشرة أميال، ذلك لأنها في انتظار التحاق بقية الحجاج اللذين تخلفوا في حائل بالقافلة، لذا كانت آن بلنت ومجموعتها تنفصل عن القافلة في بعض الأحيان وتتقدمها في المسير أو تنفرد عنها لمسافة قصيرة، نظرا لتباطؤ سير القافلة ورغبة من آن بلنت في اكتشاف المنطقة، إلا أنها لا تلبث أن تعود للقافلة وتسايرها، فتذكر أنها في اليوم السادس من الرحلة لم يتحرك مخيم الحجاج فقررت هي ومجموعتها المسير بدونهم إلا انهم لم يتقدموا كثيرًا حتى نصبوا مخيمهم على مرأى من مخيم الحجاج، وفي اليوم السابع ابقوا مخيمهم في مكانه وأخذو جولة طويلة حتى وصلوا إلى قرية طيبة اسم[٢٣]، وتصف هذه القرية بأنها تقع في منطقة منخفضة تسيل إليها المياه مما جعلها واحة يمكن حفر الآبار فيها دون عناء، واتساع هذه الواحة يتروح ما بين أربعة إلى خمسة أميال تتفرق المنازل على طولها في مجموعات، وفي اليوم الثامن أتاهم غلام شمري بثلاث نوق من مخيم الحجاج وتكفل بإرشادهم إلى الطريق لأنه يفضل السفر معهم على موكب الحج فتابعوا مسيرهم متقدمين على قافلة الحجاج حتى اليوم العاشر حيث وصلوا إلى مسار طريق الحج من الكوفة إلى مكة المكرمة عند آبار شعيبة[٢٤]، حيث يوجد أربعون بئرًا متقاربة في صحراء خالية. ومن أبار شعيبة انعطفوا في مسيرهم بزاوية قائمة نحو الشمال لإتباع مسار الطريق، الذي بدأ محددا بشكل جيد، يسهل اتباعه دون الحاجة إلى مساعدة دليل[٢٥].

ثم تذكر آن بلنت أنهم بعد اجتياز منطقة آبار شعيبة ساروا عدة أميال بين روابي رمال النفود ثم تركوا طريق الحج إلى يمينهم بعدة أميال وساروا في وسط النفود حتى وصلوا إلى مبنى منعزل يقوم وسط النفود يدعى قصر تربه[٢٦] وهو قصر مربع الشكل يبلغ طول جدرانه عشرين قدمًا، وله أبراج في الزوايا ويقوم على حمايته أربعة رجال من جنود ابن رشيد، منعوهم من الاقتراب منه ومن الحصول على ماء من بئر القصر. وفي اليوم الثاني عشر من الرحلة، ولعدم عثورهم على الماء عادوا إلى مسار الطريق حتى وصلوا إلى آبار خضرا[٢٧]، حيث يوجد أربعة عشر بئرًا، وهي مجرد حفر في الأرض دون وجود علامات تدل عليها، ويبلغ عمق الآبار سبعين قدمًا، ووجدوا عند هذه الآبار قرابة ثلاثين أو أربعين رجلاً من البدو برماحهم وعدد مماثل من الجمال مسرجة بالشداد، وأخبر هؤلاء الرجال آن بلنت وويلفريد بأنهم من قبلية الضفير وأنهم ينتظرون قافلة الحجيج كغيرهم، وشاهدت آن بلنت خلال الأيام التالية عدد من البرك على الطريق، ومسار الدرب الذي تم إصلاحه لتسهيل مرور الحجاج والقوافل، وقد اطلقت اسم أحوض زبيدة على برك المياه، ونسبت الفضل في بنائها وحفر آبار المياه إلى زبيدة زوج هارون الرشيد[٢٨]، فتقول أنها في اليوم الثالث عشر من الرحلة، وبعد السير لمسافة أربعة وعشرين ميلاً وصلوا إلى أول أحوض

زبيدة على الطريق، وعبرت عن دهشتها حول اختيار موقع البركة وتصميمها، حيث لفت انتباهها أن البركة لم تكن في ارض منخفضة بل على قمة هضبة ترتفع مئتي قدم ووراءها تلعة اكثر ارتفاعًا، وبنيت البركة في قلب الوادي، وهي مستطيلة الشكل طولها ثمانون ياردة وعرضها خمسون ياردة، ولها درجات ينزل منها للوصول للماء، وهي مبنية من ملاط صلب، وشاهدت عند البركة تجمع من العرب يسقون جمالهم منها.[٢٩]

كما شاهدت على مسار الطريق في الأيام التالية عدد آخر من البرك، فتذكر أنها في اليوم الرابع عشر من الرحلة شاهدت برك أفضل من الأولى، وفي اليوم التالي، وصلوا إلى برك مملؤة بالمياه في قلب واد يسمى روزة، نسبة إلى نبات ينموا فيه، وتبدو البرك على طراز ما شاهدته في الأيام السابقة وكان هناك بركتان إحداهما مستطيلة والأخرى مدورة مبنية من حجارة صلبة ومكسية بطبقة كلسية ملساء، وكانت المياه في هذه البرك صافية وعذبة. يبلغ طول البركة المستطيلة أربعًا وستين ياردة وعرضها سبعًا وثلاثين ياردة، وعمقها إثنا عشر قدمًا، وفي نفس الموقع يوجد خان مهدم، يرجع إلى نفس تاريخ البرك. وبئر عميقة يبلغ قطرها عند الفوهة عشرة أقدام، وكان الوادي يوم مرورهم معه يسيل بالماء نتيجة أمطار غزيرة هطلت ليلة وصولهم إليه وتكونت جراء السيول مستنقعات ممتلئة بالماء على هيئة برك متناثرة في الوادي[٣٠]، وفي مساء اليوم التاسع عشر من الرحلة، توقفوا مع القافلة عند بركة الجميمة ووصفتها آن بلنت أنها آخر أحواض زبيدة وعندها آثار معتبرة وبئر واسعة[٣١]، أما مسار طريق الحج الكوفة مكة المكرمة فتذكر أنها شاهدت في اليوم الرابع عشر من الرحلة جزء منه محددا بحائط من الجانبين، وقالت إنها أخبرت بأن زبيدة بنت جعفر زوجة هارون الرشيد هي التي بنته لتعلق عليه ظلة يمشي الحجاج في فيئها، إلا أنها لم تقتنع بهذا الرأي، ورجحت أن ما شاهدته هو إصلاح للطريق حيث سهل مساره بإزالة الحجارة من مساره وحدد بها على جانبيه،[٣٢].

٤/٢-مشاق السفر

بعد مضي عشرون يومًا من مغادرة حائل لم تكن القافلة قطعت إلا سوى نصف المسافة وبقي أمامها مئتا ميل لتصل إلى النجف، ومع ذلك وجه أمير القافلة بأن تتوقف تمامًا لجمع الأتاوة من الحجاج وحدد مبلغ مجيدين لكل شخص وأعلن أنه لن تتحرك القافلة حتى يتم تحصيل المبلغ من جميع الحجاج، وقد آثار هذا التصرف غضب الحجاج لأن أمير القافلة تسبب في هذا التأخير عمدًا لكي يجمع أتاوة لصالحه الشخصي، وفاقم غضبهم أنهم لم يحملوا مؤنًا تكفي إلا لثلاثة أسابيع وقد نفذت كلها.

وفي الأيام التالية ظهر الإجهاد على جمال القافلة، إذ أتعبها المسير وقلة الطعام، وأنهك اثنين من جمال الليدي آن بلنت ومرافقيها وتذكر أنه نفذ ما كان معهما من طحين ولم يكن في الطريق من الكلاء ما يكفي لإطعامهما، وكذلك جمال الحجاج هزلت بشكل واضح بسبب إجبارها على المسير المجهد، وبدأ رعاتها يتذمرون، فالحجاج الذين استأجروا الجمال لم يهتموا برعايتها ولم يمنحوها الوقت للرعي أثناء المسير، إذا أنهم يمتطونها أغلب الوقت وحتى وهي ترعى وهذا متعب للجمال.

وفي اليوم الثاني والعشرون من الرحلة أصبح مسار طريق الحج يسير مع أرض منخفضة، وفيها منحدرات تدعى وادي البطن، وفي نهايتها عقبة شديدة الانحدار وعبرها أصبح الطريق ضيقًا لا يكفي إلا لمرور شخص واحد، فاضطر الحجاج للسير في صف مفرد بدلاً من الانتشار الذي اعتادوا عليه في الأيام السابقة، وكانت هذه المنحدرات شديدة على الجمال التي أتعبها المسير الطويل وقلة الطعام، وكان من بينها جمل آن بلنت الذي تخلف عند هذه العقبة. وفي اليوم الخامس والعشرون من الرحلة واجهت القافلة عاصفة رملية مع جو شديد البرودة واستمر هذا الطقس الجوي لمدة عشر ساعات، وتسبب هذا الجو البارد في سقوط نحو سبعون جملاً ماتوا في الطريق في اليوم السادس والعشرون من الرحلة إذا لم تحتمل الجمال هذا الجو البارد. وفي الأيام الأخيرة بدأ أمير القافلة في حثها على المسير السريع، إذا قطعت في خلال ستة أيام نحو ١٧٠ ميلاً، الأمر الذي آثار غضب الحجاج على أمير القافلة حيث كان يتباطأ بها في المسير في الأيام الأولى، ثم استعجاله في المسير بعد ذلك على نحو تسبب في إرهاق القافلة، ومع ذلك لم يتخلف أحد من الحجاج مع أن أكثرهم يسير على الأقدام مع نقص في الطعام.

وفي اليوم السابع والعشرون لم تخف الرياح إلا أن الرمال قد أصبحت أقل، الأمر الذي أخر الانطلاق المبكر للقافلة حتى الساعة الثامنة صباحًا، وفي أثناء المسير ازداد عدد الجمال العاجزة عن المشي واحتضر عدد منها على الطريق، وقام عدد من أصحاب الجمال المتعبة بإيقافها وانزال أحمالها، وحمل بعض الحجاج أمتعتهم على رؤوسهم بعد أن رأوا وهن الجمال وقرب انتهاء السفر ومع ذلك واصلت القافلة مسيرها حتى بلغت العقبة[٣٣] قبل النجف، ومع صعود العقبة تساقطت الجمال بأعداد كبيرة، وواصلت البقية مسيرها إلى أن وصلت إلى النجف،

ومنها انفصلت آن بلنت وولفريد عن القافلة وتوجها إلى كربلاء ومنها إلى بغداد ليحلا ضيفان عند المندوب السامي لبريطانيا، حيث انتهت رحلتهما إلى نجد، التي استغرقت قرابة ثلاثة شهور بدءا من انطلاقها من دمشق بتاريخ ١٣ ديسمبر ١٨٧٨م، حتى يوم٦ مارس ١٨٧٩[٣٤].

وتصف آن بلنت ختام رحلتها وانفصالها هي وويلفريد عن فريقهما الذي رافقهما من دمشق حتى بغداد وتعبر عن سعادتها بتلك الرحلة وما حققته فيها من أهداف وما لقيته من تسهيلات قائلة حين وصلت إلى بغداد: "في السادس من شهر آذار نمنا للمرة الأولى على الأسرة بعد أن تركنا هذه الرفاهية لما يقارب ثلاثة شهور، هنا تحديدًا تنتهي رحلتنا إلى نجد، التي تمت بنجاح دون حوادث مؤسفة، بالرغم من بعض الأزمات والمصاعب التي واجهتنا، وبهذا تنتهي أيضًا مغامرتنا الشتوية. وأحسب أننا كنا محظوظين للغاية بما شاهدناه وقمنا به كما خططنا كأهداف لرحلتنا، فبالكاد نتذكر يومًا من الأيام الأربعة والثمانين التي قضيناها في الجزيرة العربية لم نستمتع أو نشعر بالسرور... انفصمت عرى فريقنا في بغداد. إذ كانت بين الرسائل التي تنتظرنا في القنصلية رسالة لمحمد العروق أجبرته على العودة الفورية لتدمر..."[٣٥].

خَاتِمَةٌ

تناولت هذه الدراسة رحلة الليدي آن بلنت إلى نجد في أواخر القرن التاسع عشر الميلادي، تركيزًا على رحلتها هي وزوجها ويلفريد سكاون مع قافلة الحج العراقية عبر الجزء الواصل من طريق الكوفة مكة المكرمة بين حائل ومدينة النجف، وهي مسافة تبلغ قرابة نصف الطريق بين الكوفة ومكة، وعن وصف آن بلنت للقافلة تم استقراء المعلومات التي أوردتها عنها مبثوثة في يومياتها، وتنظيم تلك المعلومات والخروج بتصور عن تنظيم القافلة ومكوناتها ووقت مسيرها وتوقفها وحراستها ومحامل الحجاج والمشاق التي تواجه مسيرها. وعن مسار طريق الحج من الكوفة إلى مكة المكرمة تم تسليط الضوء على مساره التي وصفته في رحلتها والمعالم الأثرية عليه، حيث وضعت الليدي آن بلنت خارطة توضح مسار رحلتها إضافة إلى يومياتها التي دونتها أثناء مسيرها مع قافلة الحج، ومع أنها لم تذكر معظم أسماء المحطات والبرك، إلا أنه يتضح أنها مرت بعدد من محطات الطريق منها الخضراء، والبطان (العشار)، ومحطة الشيحيات (الشقوق)، وبركة الجميمة. وأرفقت آن بلنت رسمًا لبركتين من المياه أحدهما بركة العشار والأخرى يتوقع أنها بركة الجميمة، وتبين من رسمها لبركة العشار الصفة المعمارية للبركة وحركة الحجاج أثناء توقفهم عندها وتزودهم بالمياه، ويتبين من وصف الليدي آن بلنت أن برك المياه التي مرت بها لا زالت صالحة وبهيئة إنشائية جيدة تجعلها تحتفظ بالمياه ويستفيد منها المسافرون، كذلك تبين من وصفها لمسار الطريق الممهد عبر النفود وبين بركة حمد وبركة الحمراء أن مسار الطريق ما زال في حالة جيدة، رغم مرور نحو اثنى عشر قرنًا على إنشاء مرافق الدرب، في عهد الدولة العباسية ونحو سبعة قرون على سقوط الدولة العباسية.

وتؤكد هذه الدراسة آن وصف آن بلنت لقافلة الحج العراقية وطريق الحج العراقي ذا أهمية في موضوع تاريخ وآثار الطريق، وقافلة الحج العراقية لكونه وصف مشاهده ويعود لفترة تاريخية لا يتوفر فيها وصف عن الطريق وقافلة الحج في تلك الفترة، وكانت آن بلنت هي وزوجها ويلفريد هما أول من عبر الطريق في تلك الفترة من الأوروبيين كما ذكرا في كتابهما، أيضًا تؤكد الدراسة على أهمية كتب رحلات الأوروبيون للجزيرة العربية وأهمية ترجمة تلك المؤلفات إلى اللغة العربية ودراستها وتحقيقها. لما تتضمنه من معلومات ثرية وفريدة عن الأحوال العامة للجزيرة العربية وتراثها وثقافتها، خاصةً وأنها توثق لفترة تفتقد فيها بعض المناطق لمصادر محلية مكتوبة.

الملاحق

١- خارطة عامة لطريق الحج من الكوفة إلى مكة المكرمة الراشد، درب زبيدة، ص٣٠٤.

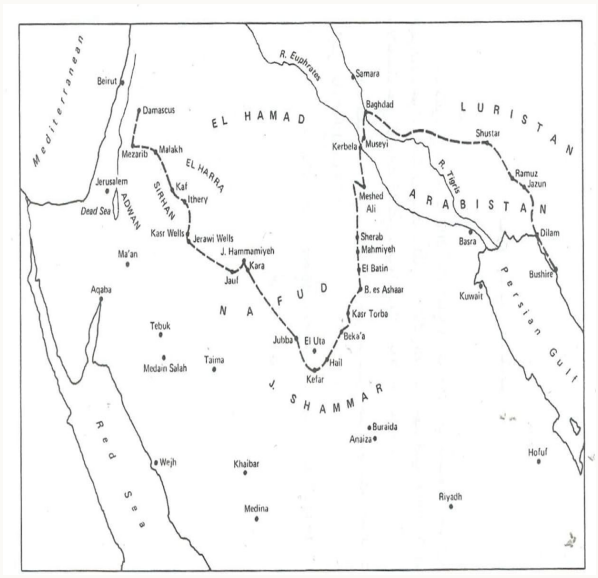

٢- خارطة مسار رحلة آن بلنت من دمشق إلى حائل وبغداد آن بلنت، رحلة إلى نجد، ص٣٦٧.

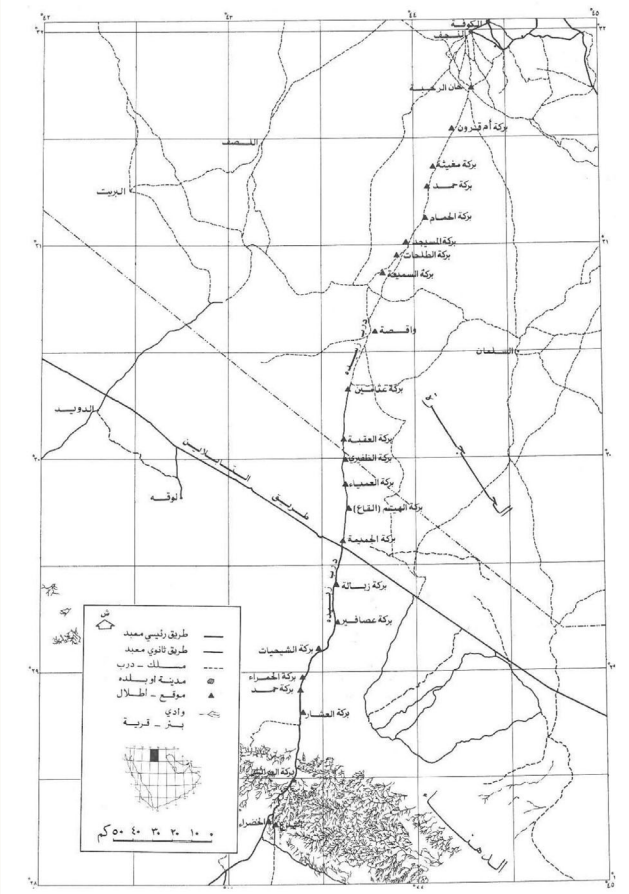

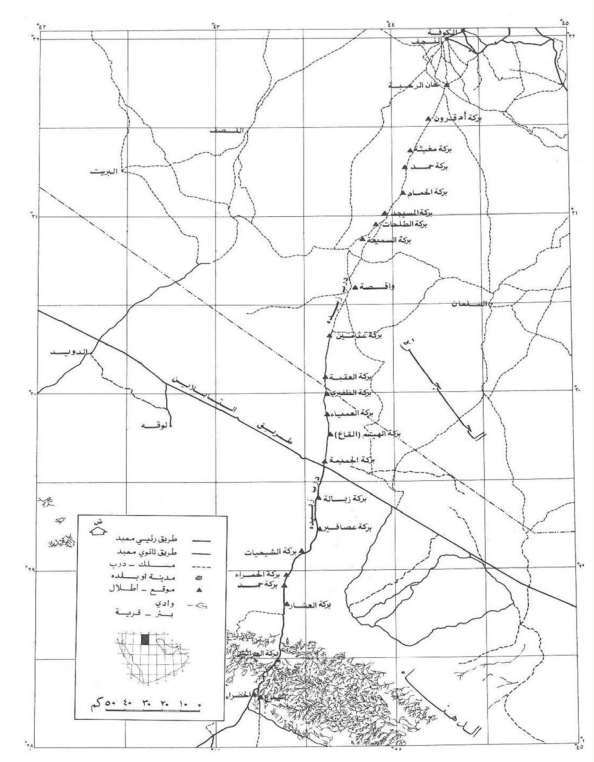

٣- خارطة طريق الحج من الكوفة إلى مكة: الجزء من محطة الخضراء حتى الكوفة.

الراشد، درب زبيدة، ص ١٣٨.

٥- بركة العشار، تصوير الباحث

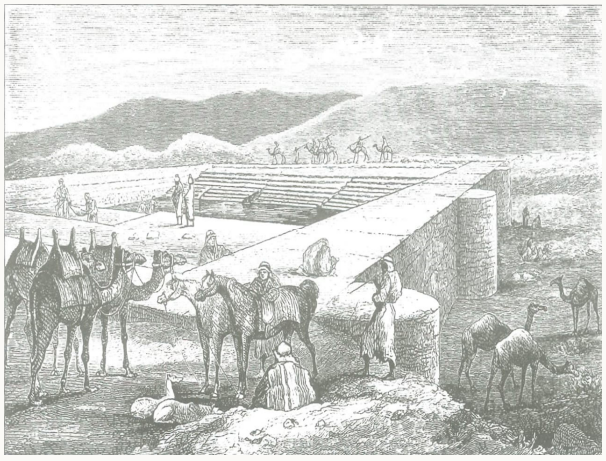

٤- بركة العشار برسم آن بلنت

آن بلنت، رحلة إلى نجد، ص ٢١٩.

الاحالات المرجعية:

(١) **حائل** مدينة سعودية تقع في شمال غرب المملكة العربية السعودية على بعد ٦٣٦ كيلو متر من مدينة الرياض. وهي العاصمة الإدارية لمنطقة حائل.

(٢) تقع الحيرة غربًا من الكوفة بمسافة ثلاثة أميال، وكانت عامرة من القرن السادس إلى القرن السابع بعد الميلاد، وقامت في مكانها مدينة النجف، ياقوت بن عبد الله الحموي، **معجم البلدان**، دار صادر، بيروت، ١٣٧٤هـ، ج ٢، ص ٣٢٨.

(٣) إبراهيم بن إسحاق الحربي، **المناسك وأماكن طرق الحج ومعالم الجزيرة**، دار اليمامة، الرياض،١٤٢٠هـ، ص٦٣. تقع فيد إلى الجنوب الشرقي من مدينة حائل بمسافة ١٠٨ كيلو متر، وتذكر فيد في المصادر بأنها محطة رئيسية في منتصف الطريق بين الكوفة ومكة المكرمة، وأنها كثيرة الأهل وبها ينزل عامل الطريق وفيها أسواق وبرك وآبار وقنوات وحصان وقصر للسلطان، الحربي، **المناسك**، ص٦٠-٦٥، أبو القاسم عبيد الله ابن خرداذبة، **المسالك والممالك**، مطبعة بريل، ليدن١٨٨٩م ص١٢٧، أبو علي احمد بن عمر ابن رستة، **الأعلاق النفيسة**، مطبعة بريل، ليدن،١٨٩١م ص١٧٦، ويشتمل الموقع الأثري لفيد على آثار حصن فيد وسورها، و مسجد ومنازل وبرك وقنوات مياه... سعد بن عبد العزيز الراشد، **درب زبيدة طريق الحج من الكوفة إلى مكة المكرمة**، دار الوطن، الرياض ١٤٤١هـ/١٩٩٣م، ص ١٩٩-٢٠٣.

(٤) الحربي، **المناسك**، ص٥٠. تقع الثعلبية على بعد ٩٢ ميلاً إلى الشرق من فيد، وتعرف اليوم باسم البدع، وهي من المحطات الرئيسة على الطريق، وذكرت المصادر أنها ثلث الطريق بين الكوفة ومكة، وأنها مدينة عامرة عليها سور وفيها سوق وبرك وآبار مياه كثيرة وقصر ومسجد، الحربي، المناسك، ص٤٧-٥٢، ابن خرداذبة، **المسالك والممالك**، ص ١٢٧، ابن رستة، **الأعلاق النفيسة**، ص١٧٥. وسجلت أعمال المسح الأثري للثعلبية ١٢٠ وحدة معمارية وتشتمل آثار الموقع على بركة وعدد كبير من الآبار وأساسات المنازل وثلاثة حصون ومجموعات كثيرة من المباني، صلاح الحلوة، كراج مورجان، برنامج توثيق معالم الطريق الإسلامي الشهير درب زبيدة، التقرير المبدئي عن المرحلة الخامسة لمسح درب زبيدة، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م، أطلال، العدد الخامس، ١٤٠١هـ/١٩٨٠م، ص٩١-٣٩. الراشد، **درب زبيدة**، ص١٧٧-١٨١.

(٥) محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري، **تاريخ الرسل والملوك**، ط٢، دار التراث، بيروت، ١٣٨٧هـ، ج٦، ص٤٣٧.

(٦) عبد القادر بن محمد الجزيري، **درر الفرائد المنظمة في أخبار الحاج وطريق مكة المعظمة**، أعده للنشر حمد الجاسر، دار اليمامة، الرياض، ١٤٠٣هـ /١٩٨٣م، ج١، ص ٤١٥، النجم عمر بن فهد بن محمد، **إتحاف الورى بأخبار أم القرى**، تحقيق فهيم محمد شلتوت، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٤٠٤هـ /١٩٨٣م، ج ٢، ص ١٣٧.

(٧) تتكون المملكة العربية السعودية من ثلاثة عشر منطقة إدارية هي: منطقة الرياض، ومنطقة مكة المكرمة، ومنطقة المدينة المنورة، ومنطقة القصيم، والمنطقة الشرقية، ومنطقة حائل، ومنطقة جازان، ومنطقة عسير، ومنطقة الباحة، ومنطقة تبوك، ومنطقة نجران، ومنطقة الجوف، ومنطقة الحدود الشمالية.

(٨) الحربي، **المناسك**، ص٢٨١-٣٥٦، ابن خرداذبة، **المسالك والممالك**، ص١٢٥، ابن رستة، **الأعلاق النفيسة**، ص ١٦٧.

(٩) ينتمي آل رشيد إلى قبيلة شمر، وقد أسسوا لهم أمارة كانت عاصمتها مدينة حائل امتدت حتى جنوب الرياض ومناطق الجوف وعرر شمالاً وكانت فترة أمارتهم خلال الفترة (١٢٥٠-١٣٤٠هـ/١٨٣٤-١٩٢١م)، موجز التاريخ الإسلامي منذ عهد آدم عليه السلام إلى عصرنا الحاضر ١٤١٧ه، د. ن، الرياض ١٤١٧هـ/١٩٩٦م، ص٣٦٥، عبد الله الصالح العثيمين، **نشأة إمارة آل رشيد، الرياض**، عمادة شؤون المكتبات بجامعة الملك سعود، الرياض ١٤٠١هـ/١٩٨١م.

(١٠) محمد بن أحمد بن جبير، **رحلة ابن جبير**، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، د. ت، ص١٨١-١٨٧.

(١١) محمد بن عبد الله بن محمد بن إبراهيم اللواتي الطنجي أبو عبد الله بن بطوطة، **رحلة ابن بطوطة: تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار**، دار الشرق العربي، د. م، د. ت، ص١٣٢-١٣٤.

(١٢) جورج أوغست والين، **رحلات فالين إلى الجزيرة العربية**، ط٢، ترجمة سمير سليم شبلي، بيت الوراق للطباعة والنشر، بغداد، ٢٠٠٩م، ص٢٥٢-٢٥٦.

(١٣) شارل هوبير، **رحلة في الجزيرة العربية الوسطى**، ترجمة إليسار سعادة، دار كتب، بيروت ٢٠٠٣م، ص١٢٩- ١٤٥.

(١٤) Alois Musil,Northern Nagd,New york,1928,pp205-236 ، وللمزيد عن تاريخ وآثار درب زبيدة والمزيد من المصادر والمراجع التي تناولت تاريخه ومعالمه الأثرية يُنظر، الراشد، درب زبيدة .

(١٥) الليدي آن بلنت، **رحلة إلى نجد**، ترجمة وتعليق أحمد ايبش، دار المدى للثقافة والنشر، دمشق ٢٠٠٥م، ص ٤١.

(١٦) تقع منطقة الجوف في الجزء الشمالي من المملكة العربية السعودية وعاصمتها الإدارية مدينة سكاكا، وتقع على بعد ٩٨٣ كيلو متر من مدينة الرياض.

(١٧) آن بلنت، رحلة إلى نجد، ص٧-١٥، عوض البادي، **الرحالة الأوروبيون في شمال الجزيرة العربية: منطقة الجوف ١٨٤٥-١٩٢٢م**، نادي الجوف الأدبي الثقافي، د. م، ١٤٣٢هـ/٢٠١١م، ص١٣٥-١٣٨.

(١٨) آن بلنت، رحلة إلى نجد، ص١٥-١٦.

(١٩) آن بلنت، رحلة إلى نجد، ص٣٠٣-٣١١.

(٢٠) **أمير القافلة**: من مهامه قيادة القافلة والترفق بها في المسير حتى لا يجهد الناس وجمع الناس في مسيرهم لكي لا يتفرقوا، وأن يسلك ايسر الطرق وأوفرها من حيث توفر الماء والمرعى، والإصلاح بين المتنازعين، وحراسة القافلة، يُنظر: أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي دار الحديث، القاهرة، د. ت، ص١٧٢-١٧٣.

(٢١) الليدي آن بلنت، **رحلة إلى نجد**، ص٣١١-٣٥٥. بتصرف

(٢٢) الليدي آن بلنت، **رحلة إلى نجد**، ص٣١٧-٣١٨، ص ٣٤٦.

(٢٣) تقع **طيبة** اسم شرق حائل بمسافة ٩٩ كيلو متر وهو اسم يطلق على قرية بقعاء، حمد الجاسر، **معجم البلاد العربية السعودية**، دار اليمامة، الرياض،١٩٧٧م، القسم الثاني، ص ٩٠٦.

(٢٤) آبار شعيبة تقع شرق حائل بمسافة ١٣٥ كيلو متر، وعلى مسافة ٩١ كيلو متر إلى جهة الشمال الشرقي من فيد، وهي حاليًا قرية تعرف باسم شعيبة المياه، وتتبع إداريًا لمحافظة بقعاء.

(٢٥) تشير الليدي آن بلنت هنا إلى مسار الطريق عبر النفود الكبير. وقد وصف سعد الراشد مسار الطريق عبر النفود بأنه رسم بحيث يكون مساره مستقيماً، وحدد على جانبيه بأحجار منتظمة بحيث تبدو كما لو أنها كانت أسوارًا مرتفعة، ورصف مسار الطريق بأحجار عريضة متقاربة مع بعضها البعض. وعن اتساع الطريق ذكر انه يضيق أحيانًا إلى أربعة أمتار ويتسع أكثر من ذلك في بعض المناطق. الراشد، **درب زبيدة**، ص٣١٩-٣٢٠.

(٢٦) تربة من قرى منطقة حائل، تقع شمال شرق مدينة حائل بمسافة ١٩٠كم، وتتبع إداريًا لمحافظة بقعاء، الجاسر، معجم البلاد العربية السعودية، القسم الأول، ص ٣١٥.

(٢٧) يذكر الحربي، آبار الخضراء بأنها على ميلين من الثعلبية يمنة الطريق ويصفها بأنها آبار كبار ومائها عذب ومنها بئر تعرف

بالبرمكي وبئر تعرف بالبستان. الحربي، المناسك، ص٥٢، وذكر حمد الجاسر أن آبار الخضراء تقع قرب تربة وهي من أشهر مناهل المياه في نفود الدهناء. الجاسر، معجم البلاد العربية السعودية، القسم الأول، ص٥٣١. ويشير سعد الراشد إلى أن الخضراء تقع على بعد خمسة أكيال إلى الغرب من الثعلبية وهي مجموعة من الآبار تقع في سهل فسيح، بعضها في حالة صالحة للاستعمال وبعضها جفت تمامًا، ويشير إلى أن الرحالة هوبر زار المكان وأعطى نفس العدد الذي ذكرته آن بلنت للآبار ١٤ بئرًا، بينما ذكر موسل الذي زار الموقع عام١٩١٥م بأن عدد الآبار ثمانين بئرًا، الراشد، **درب زبيدة**، ص ١٨٢.

(٢٨) أيضًا ذكر عدد من الرحالة اللذين وصفو الطريق بأن الفضل في بنائه يعود للسيدة زبيدة زوج هارون الرشيد وحكمهم في ذلك مبني على المصادر الإسلامية المبكرة. الراشد، **درب زبيدة**، ص١١٣.

(٢٩) يتضح من خلال وصف آن بلنت والرسم الذي وضعته للبركة، أن هذه البركة هي البركة المعروفة حاليًا باسم بركة العشار، وهي تقع على مسار طريق الحج العراقي شمال شرق حائل بمسافة ٢٣٠كم، والعشار من المحطات الكبيرة على درب زبيدة وذكر في المصادر باسم (البطان) وذكر الحربي أن بها قصر ومسجد وبركة تدعى الخالصية لها مصفاة وبركة تعرف بالمهدي، وخزانة للماء في وسط الوادي، وفيها بئر عذبة ونحو عشرين حوضًا في بيوت التجار، الحربي، المناسك، ص٤٤-٤٧، ابن خرداذبة، **المسالك والممالك**، ص١٢٦. وذكر تقرير المسح الأثري أن موقع العشار من المواقع الكبيرة على درب زبيدة ويشتمل على بقايا نحو ثلاثين وحدة معمارية تشتمل على بركتين ومنازل وسوق ومرافق أخرى. يُنظر، صلاح الحلوة، عبد العزيز آل الشيخ، عبد الجواد مراد، **مشروع استكشاف وتوثيق درب زبيدة، أطلال**، العدد ٦، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م، ص ٣٧-٤١، الراشد، **درب زبيدة**، ص١٦٩-١٧١.

(٣٠) يرجح أن الوادي الذي سمته آن بلنت وادي روزة هو وادي الشيحيات الذي يكثر فيه نبات الشيح وأن البركتان المربعة والمدورة هما اللتان تقع في محطة الشيحيات وهي من المحطات الرئيسية على الطريق. وعرفت في المصادر الإسلامية باسم الشقوق. وذكرت المصادر بأن في الشقوق برك وآبار للمياه، الحربي، المناسك، ص ص٤٢-٤٤، ابن خرداذبة، المسالك والممالك، ص١٢٦، ابن رستة، الأعلاق النفيسة، ص١٧٥. وذكر تقرير المسح الأثري للإدارة العامة للآثار والمتاحف أن الشيحيات تبعد ٤٩°٥٠٠ كيلا شمال شرق محطة العشار وان بها بركة دائرية لها مصفاة مستطيلة، وآبار وأطلال مباني من أهمها مبنى رئيسي يمثل قصر أو حصن تبلغ أطواله ٣٥×٣٠م، يُنظر: الحلوة وآخرون، **مشروع استكشاف وتوثيق درب زبيدة**، ص ٤٤-٤٧، الراشد، درب زبيدة ص ص١٦١-١٦٥، ورصدت أعمال المسح الأثري أيضًا عدد من المواقع الأثرية على مسار الدرب بين العشار والشيحيات، ومن البرك: بركة حمد وبركة الرستمية، يُنظر، الحلوة وآخرون، **مشروع استكشاف وتوثيق درب زبيدة**، ص٤١-٤٤. الراشد، **درب زبيدة**، ص ص١٦١-١٦٨.

(٣١) تقع بركة الجميمة شرق مدينة رفحاء بمسافة ١٤كم، وتذكر في المصادر الإسلامية باسم الجريسي، وأنها محطة ثانوية (متعشى)، ابن خرداذبة، **المسالك والممالك**، ص١٢٦، ابن رسته، **الأعلاق النفيسة**، ص ٧٦، وذكر الحربي أن فيها بركة وقباب ومسجد وقصر وبئر، الحربي، **المناسك**، ص٣٧. وذكر تقرير المسح الأثري أن موقع الجميمة من المواقع المتوسطة الحجم، ويشتمل على ست وحدات من المباني وبركة وجدران لتحويل الماء للبركة. الحلوة وآخرون، مشروع استكشاف وتوثيق درب زبيدة، ص ص٥٤-٥٦. ولم تذكر آن بلنت محطات الطريق بين الشيحيات والجميمة، بينما ذكر تقرير المسح الأثري مواقع: ذات التنانير والشاحوف، وزبالة، والقبيبات، وتشتمل هذه المواقع على برك وآبار ومباني مختلفة، أيضًا اعتقدت آن بلنت أن الجميمة هي أخر محطات الطريق حيث قالت إنها آخر أحوض درب زبيدة. بينما يوجد العديد من المواقع الأخرى على الطريق بين الجميمة والكوفة، يُنظر، الحلوة وآخرون، **مشروع استكشاف وتوثيق درب زبيدة**، ص٤٤-٦٢. الراشد، درب زبيدة، ص١٢١-١٦٠.

(٣٢) الليدي آن بلنت، رحلة إلى نجد، ص٣٠١-٣٦٢ بتصرف. يحتمل أن مسار الطريق المحدد بالحجارة الذي أشارت إليه الليدي آن بلنت هو الذي أشار إليه تقرير المسح الأثري حيث ذكر وجود مسار لدرب زبيدة محدد بجدارين المسافة بينهما ٢٦م، ويمتد هذا المسار من بركة حمد التي تقع على بعد ٤٥كم إلى الشرق من محطة العشار حتى بركة الحمراء التي تقع على بعد ٥٠٠'٥ كيلو متر من محطة حمد. صلاح الحلوة وآخرون، **مشروع استكشاف وتوثيق درب زبيدة**، ص٤١-٤٢، كما وصف هذا الطريق سعد الراشد، وذكر أن الطريق بين بركة الشيحيات وبركة الحمراء وبركة حمد تم تسويته وإصلاحه وتبدو معالمه واضحة وقد أزيلت الصخور الكبيرة والأحجار المدببة من مساره ووضعت على جانبية بحيث يبدو كل جانب بأنه على شكل جدار يمتد مع مسار الطريق ويبلغ عرض الطريق عبر هذه المنطقة ١٨م. الراشد، **درب زبيدة**، ص ٣٢١.

(٣٣) تقع العقبة إلى الجنوب الغربي من النجف بمسافة ٢١٧ كيلو متر، محمد عبد الغني السعيدي، "**طريق الحج العراقي: الكوفة مكة المكرمة متابعة ميدانية**"، ينابيع، العدد ٤١، ربيع الأول – جمادى الثانية، ١٤٣٢هـ، ص٣٢-٣٣. وذكر كل من ابن خرداذبة وابن رسته بأنها محطة رئيسية على طريق الحج الكوفي وبينها وبين الكوفة للمتجه إلى مكة المحطات الرئيسة: (العذيب، المغيثة، القرعاء واقصة) وبينها وبين الجميمة (الجريسي)، محطة القاع، وذكر ابن خرداذبة أن فيها أبار عذبة، وقال ابن رستة أن العقبة منزل فيه برك وآبار وكانت عقبة فسهلت، ابن خرداذبة، **المسالك والممالك**، ص ١٢٥-١٢٦، ابن رسته الأعلاق النفيسة، ص١٧٥-١٧٦. وعن آثار الموقع تذكر الدراسات الأثرية الحديثة وجود بركتين للمياه ومبنى مستطيل على هيئة خزان تبلغ أبعاده ١٠٥×٥٥م، بمثابة مجمع للمياه تصل المياه منه لأحد البرك عبر مجرى للماء، وأربع أبار وسد للمياه يقع إلى الجنوب من المحطة بمسافة ستة أكيال. السعيدي، "**طريق الحج العراقي**"، ص٣٢-٣٣، الراشد، **درب زبيدة**، ص١٣٩-١٤٢.

(٣٤) الليدي آن بلنت، **رحلة إلى نجد**، ص٣٤٧-٣٥٨.

(٣٥) الليدي آن بلنت، **رحلة إلى نجد**، ص ٣٦٢-٣٦٣.